مسألة اليهود
وعقم الحل الصهيوني

سلوى العمد

فسر المؤرخون المثاليون استمرارية خصوصية وضع اليهود عبر التاريخ بأنه «نتيجة لما برهنوا عليه من اخلاص لدينهم، أو لقوميتهم، عبر القرون»[١]. ولم يظهر التباين في آراء هؤلاء المؤرخين الاّ عند التطرق لتحديد الهدف[٢] الذي حافظ اليهود من أجله على دينهم وقاوموا اندماجهم. وقد بين ابراهام ليون، في دراسته لهذه المسألة، الخطأ الجوهري الذي تذهب اليه التفسيرات المثالية بقوله: «ان دراسة الدور الاقتصادي لليهود هي وحدها التي تسهم في توضيح أسباب 'المعجزة اليهودية'»[٣]. وأما كارل كاوتسكي، فقد أشار الى أنه ليس ثمة حاجة لاستعمال مفهوم العرق بصدد خصوصية اليهود، حيث أن هذا المفهوم لا يعطي حلاً بل يطرح مسائل جديدة. و «يكفي أن يتتبع المرء تاريخ اليهود ليتعرف على أسباب خصوصيتهم»[٤]. واستشهد لينين، في مقالته: «وضع البوند* في الحزب»، بالفيلسوف والمؤرخ الفرنسي رينان (Renan) الذي تخصص في دراسة تاريخ اليهود، حين قال: «ان سمات اليهود الخاصة وأساليب حياتهم هي، الى حد كبير، نتاج ظروفهم الاجتماعية التي تأثروا بها لقرون عديدة، أكثر منها ظاهرة عرقية»[٥].

اذن، «بدون دراسة عميقة للتاريخ اليهودي، يكون من الصعب فهم المسألة اليهودية في عصرنا الحاضر»[٦]. ولقد كان كارل ماركس أول من وضع مسألة اليهود في اطارها التاريخي الصحيح عندما دعا إلى البحث «عن سر الدين في اليهودي الواقعي»[٧]، أي في الدور الاجتماعي ــ الاقتصادي لليهودي في المجتمع «إذ ليس الصراع بين اليهودية والمجتمع المسيحي تحت الستار الديني، سوى صراع اجتماعي»[٨]. من هنا نتبين أن التغلغل في جوهر الظاهرة الاجتماعية شرط أساسي لمعالجتها. ولا يتم ذلك الاّ في سياق التحليل المادي لتاريخ هذه الظاهرة. وفي اطار هذا المنهج فقط، يكمن الحل الصحيح لمسألة اليهود. وقد كان ماركس وانجلز أول من أعطى لمسألة اليهود تفسيرها الصحيح في سياق التحليل الطبقي للمجتمع الانساني عبر التاريخ. كما أثبتا، من خلال المنهج العلمي في التحليل، حتمية زوال

(*) الاتحاد العام للعمال اليهود في لتوانيا، بولندة، وروسيا.